أساليب الثواب والعقاب وأهميتها في عملية التعليم

م.م. انتصار كاظم جواد

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

أهمية البحث والحاجة إليه

يعتمد المدرسون كثيراً على العقاب والثواب، وتؤكد اغلب الأبحاث والنظريات النفسية أهمية الثواب وتفضيله على العقاب, فقد استخلص ثورندايك من تجاربه إن الإثابة تقوي مباشرة السلوك المثاب, وإن الكائن الحي يكون أكثر ميلاً لحذف الاستجابات الخاطئة وترجيح الاستجابات الناجحة التي تنتهي بالثواب والعقاب خاصة كدافع للتعلم وكثيراً ما تثار المناقشات حول أهمية هذين النوعين من الدوافع, والعقاب أقدم وسيلة معروفة تستخدم لدفع التلميذ نحو التعلم, لثبوت أضرار كثيرة تعود على المتعلم من جراء العقاب، وهو كدافع للتعلم لا يزال يجد مؤيدين له بين أوساط المدرسين.

وثبت أيضاً أن نتائج العقاب أقل استمراراً في الأثر من نتائج الإثابة, وأن تأثيرات العقاب يغلب أن تكون انفعالية تعترض أو تعرقل الأداء ولكنها لا تكون من العمق بحيث تغير الأداء تماماً ومن ثم فإن تأثيرها في عملية التعلم ضعيف, أي أنه بمجرد أن تنتهي الحالة الانفعالية التي أوجدها العقاب تعود الاستجابات القديمة إلى قوتها الأصلية إلا إذا حل محلها تعلم جديد مثاب في الوقت نفسه.

ويعتمد العقاب أساساً على دافع الخوف, فالخوف من الأذى العضوي أو التحقير أو فقدان المكانة بين الزملاء أو من الحرمان من أشياء لها أهميتها عند المتعلم ... إلى غير ذلك والخوف دافع قوي يستثير نشاط التلميذ ويدفعه للعمل ولكن هذا الكسب المشكوك في قيمته وفاعليته يكون على حساب ما يصيب شخصية التلميذ من أضرار لا يمكن إنكارها وأحياناً يؤدى العقاب إلى كف السلوك تماماً بمعنى أن يتوقف الفرد عن العمل كلياً عندما يزيد عن الحد الذي لا يستطيع الفرد احتماله.

وهناك أضرار جانبية للعقاب مثل كراهية التلميذ للمدرس وكراهية النشاط الذي أدى إلى العقاب، أو كراهية المدرسة كلها وأحيانا المجتمع بأكمله، وكذلك فقدان الاتزان الانفعالي وعدم السيطرة على السلوك إزاء ما يحدث له, والشعور بأنه غير مرغوب فيه من الجماعة أو أنه أقل الغير إلى غير ذلك من الأضرار التي تمس شخصية المتعلم في الصميم.

إن هذا التحفظ تجاه العقاب لا يعني أنه ليس له فائدة أبداً للمتعلم بل أحياناً يكون له بعض الفوائد, عندما يدفع الفرد مثلاً إلى الهرب من الموقف المعاقب ومحاولة تجنبه في

المستقبل، ويساعد على معرفة التلميذ بما يجب أن يفعله, فالدرجة السيئة التي يعطيها المدرس لتلميذه بعد تصحيح كراسته عقابا أحيانا, ولكنها عقاباً مرشداً وموجهاً فيما يتعلق بالإجابة الخاطئة هذا النوع من العقاب يعيد توجيه السلوك بحيث يمكن إثابة السلوك الجيد ويساعد التلميذ على معرفة ما ينبغي أن يفعله, والأفضل أن يكون العقاب من عينة السلوك نفسه المسبب للشكوى نفسه وفي صورة لإصلاح الشيء الذي عوقب الفرد من أجله, فعقاب التلميذ الذي أهمل كتابة واجباته من دخول المكتبة حتى ينتهي من كتابة هذه الواجبات عقاب ولكنه عقاب يعالج الموقف المسبب نفسه في أصل الشكوى ويؤدى إلى إصلاح ما أهمله التلميذ, **أما** فيما يخص الثواب الذي قد يأخذ شكل الجوائز المادية والهدايا أو غير المادية مثل التقدير والاستحسان فتؤكد أغلب الأبحاث النفسية وأهميتها فيما يخص الثواب فهي تستثمر النشاط والحيوية والرغبة في إثبات الذات والحصول على التقدير وكلها حاجات أساسية ودوافع جيدة للتعليم, والثواب بدوره له نتائج إيجابية يحسن أن نشير إليها.

أن الثواب الذي يمنحه شخص له سلطة مثل الأب أو المدرس قد يؤدى إلى اهتمام التلميذ بإرضاء الأب أو المدرس والعمل للحصول على ما يجنبه منه أكثر من الاهتمام بتحقيق نشاط ذاتي مفيد, ويصبح المهم عند التلميذ هو ما سيحصل عليه نتيجة العمل وليس العمل في حد ذاته.

أما فيما يخص المشكلات المدرسية كمشكلة الغش في الامتحانات تنشأ عن مثل هذا السلوك, وان أسلوب الرغبة في الحصول على ثواب مادي بصرف النظر عن العمليات التي تؤدى إلى الحصول على الثواب, ويؤدى الثواب في أحوال كثيرة أيضاً إلى التنافس بين المتعلمين، وإثارة التنافس في حد ذاته ليست ضارة وإنما يحدث الضرر عندما يشعر كثيراً من التلاميذ بالإحباط نتيجة حصول البعض على المكافآت والتقدير وفشل الآخرين في الحصول عليها , فإذا كانت هناك جائزة واحدة يتنافس عليها كثيرون فان مشكلات الخاسرين ينبغي أن تواجه ويصبح علينا أن نسأل أنفسنا هل الجائزة التي يحصل عليها فرد واحد تستحق الثمن المدفوع من خيبة أمل الخاسرين (١٠, محمود- ٢٣٤).

تكمن مشكلة البحث في التساؤلات آلاتية:

- هل هناك أهمية واضحة لأساليب الثواب والعقاب في العملية التعليمية؟

- هل لأساليب الثواب أهمية في تعديل السلوك لدى المتعلم؟
- هل لأساليب العقاب دافع للجنوح على ارتكاب الجريمة؟
- هل للحوافز والمكافأة أهمية للتفوق؟
- أن الدراسات التي أجريت في هذا المجال كثيرة ومتشعبة في المعاهد العليا لأعداد المعلمين أو كليات إعداد المعلمين التربوية, وأن الدراسات العربية والأجنبية كثيرة ومتنوعة في هذا المجال, ولأهمية هذا الموضوع المهم قررت الباحثة الخوض في هذا الموضوع.

وتكمن أهمية البحث في نزعة الإنسان للثواب والبعد عن العقاب موضحاً في مشكلة البحث كالأتي:

تمثل النزعة للثواب والبعد عن العقاب محوراً مهما من محاور نظرة الإنسان ولها تأثيرها المهم في سلوكه وتشكيل بنائه النفسي فنزعة الإنسان متجهة في أي زمان ومكان نحو السلوك الذي يؤدى به إلى الثواب ونزعته للبعد عن السلوك الذي يؤدي به إلى العقاب وهذا دليل للسلوك الرباني للإثابة, فحين عرضت الأمانة على المخلوقات أبين أن يحملنها ولم يرفض الإنسان حملها الذي وصف بأنه ظلوم جهول يقول تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب].

وكلمة الأمانة بمعنى العقل أو التكليف سواء، فإذا كانت بمعنى العقل فهو لوجوده وتميز الإنسان به لذا كلف من الخالق العظيم وإذا كانت بمعنى التكليف فهذا لا يتم إلا بوجود العقل الذي يستطيع التمييز والإدراك، ومن أجل تكليف الإنسان أو تحمله لتبعات العقل فقد دربه ربه سبحانه وتعالى على منهجه (أفعل ولا تفعل) ففي حضور الملائكة أعلن رب الأرض والسموات خلافة آدم في الأرض, يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [١] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة] خلق آدم إذن ليحيا على الأرض وليس ليبقى في الجنة, بل ليكون خليفة الله في أرضه, وتعرض للتجربة وكان الدرس الأول في منح ادم عليه السلام المكافأة على كيفية تلقيه أوامر الله والخضوع لها وكانت

وسوسة إبليس بمثابة المثير للتعلم والخضوع لأوامر الخالق، فهذا الشيطان كان ومازال يهدف إلى إبعاد آدم وبنيه عن منهج الله، يقول تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾[النساء].

وخرج آدم من تجربته حاملاً خبراتها لتكون هداية له في كفاحه من أجل الوفاء بحق هذه الأمانة, ولقد قدر الله سبحانه وتعالى غفلة آدم فتاب عليه, والتوبة من أسمائه جل وعلا وتلك خبرة من خبرات التجربة تجعل آدم وبنيه من بعده يعلمون أن الطريق للرجوع إلى الحق لا يغلق أبداً فالثواب الرحيم أقرب للإنسان من حبل الوريد حين يدعوه.

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[ق].

ولمعرفة الخالق وعلمه بخصائص الإنسان، وخصائص بنائه النفسي ما يمكن أن يضعه في حالة غفلة من منهجه، فهو سبحانه وتعالى دائم التذكرة للإنسان وكان الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين بهذا وكان القرآن الكريم هو دستور الحياة الدائم للنفس البشرية.

يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء].

فطرة الإنسان إذن في عمقها نجد فيها نزعته إلى الثواب والبعد عن العقاب، وتحكم ذلك فيه قوة الإرادة، فإذا كان الثواب نزعة للجزاء الأوفى من الله فأن العقاب هو خوف من الله، أما الإرادة فهي قوة النفس التي تقبل التدريب في اتجاه أبعاد النفس عن الشهوات والملذات، وإلا أصبحت القوة المادية سائدة فتطبع النفس أو الشخصية بالضعف ويفشل الإنسان في إحداث التوازن.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الإرادة في لفظ العزم فلقد دخل إبليس على آدم عليه السلام من باب النزعة للخلود وغفل آدم عليه السلام أمام هذه النزعة عن أمر الله فأكل من الشجرة التي أوهمه الشيطان أن فيها خلوده يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه].

ويمكن القول أن الفطرة السليمة عند الإنسان تدعوه تلقائياً إلى الشعور بالدين حين لا يستقيم الفعل أو السلوك مع فطرته فيستغفر ربه ويدعوه خوفاً وطمعاً خوفاً من عقابه وطمعاً في رحمته وثوابه يقول تعالى ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام].

أهداف البحث:

يرمي البحث الحالي إلى:

١- تعرف أساليب الثواب والعقاب كونها أساليب تعليمية.

٢- تعرف أهمية أساليب الثواب والعقاب في العملية التعليمية.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي في كتابة البحث الحالي.

تحديد المصطلحات:

الثواب:

- وعرفه الكتانيّ «ما يحصل عليه التلميذ من شخص آخر كأن يكون الأب أو المدرس أو مدير المدرسة أو أي شخص آخر من مكافآت مادية أو معنوية بحيث تؤدى إلى الشعور بالفرح والسرور والارتياح» (٩- الكتاني، ١٩٩٢، ١٣).
- وعرفة عبد القادر على أنه «شكل من أشكال التعزيز الموجب للسلوك الإنساني ويشمل مجموعة من الحوافز المادية والمعنوية» (١- عبد القادر، ١٩٩٨، ١٣).

ويعرف الثواب إجرائياً على أنه ما يقدم للتلميذ من مكافآت مقابل العمل المميز أو الإحسان أو المبادرات العلمية والاجتماعية التي يقوم بها وتكون المكافآت على شكل أشياء مادية وتشمل جميع أنواع الهدايا المعنوية وتشمل عبارات الثناء والمديح والشكر.

تعريف العقاب اصطلاحاً:

- عرفة لندال بأنه «إجراء تأديبي كريه مثل الصفح بقسوة أو العزل، أو استبعاد الامتيازات الممنوحة» (٢- دافيدوف، ٢٢٥).
- وعرفة قنديل على أنه «إيقاع الجزاء على شخص ما نتيجة لسلوكه المرفوض أو لأنه فشل في أداء سلوك مرض» (٨- قنديل، ٢٨٧).

ويعرف العقاب إجرائياً على أنه إيقاع اللوم أو التوبيخ أو الإنذار أو الضرب تجاه التلميذ المسيء أو تجاه التلميذ الذي أهمل واجباته المدرسية.

أولاً- مزايا الثواب:

١-الثواب يحفز التلميذ على القيام بأعمال مرغوب فيها.

٢-المناقشة بين التلاميذ تساعدهم على إتقان عملهم والمثابرة والاجتهاد من أجل الحصول على درجات جيدة وكسب رضا المعلم.

٣-الثواب يساعد التلميذ على التقرب للمعلم والإدارة والمدرسة.

٤-حب التلميذ للمادة العملية وبذل قصارى جهده لإتقانها.

٥-ثواب التلميذ داخل المدرسة يعزز سلوكه الإيجابي داخل الأسرة والمجتمع.

٦-يعد الثواب أجدى نفعاً من العقاب في العملية التعليمية لأن المدح أقوى أثرا من الذم بوجه عام.

ثانياً- أهداف الثواب والعقاب في المدرسة:

تؤلف الحياة المدرسية مجتمعاً صغيراً يحتاج إلى الأمن والطمأنينة على النفس والشعور بالكرامة والعدالة، ومن هنا كان الجزاء ضرورياً للحياة المدرسية و فيما يأتي بعض أهداف الثواب والعقاب في المدرسة:

١-حث للطلبة على الجد والعمل، وإبعادهم عن اللهو والفوضى؛ لأن رؤيتهم لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء توطن أنفسهم على الجد وتبعدهم عن الكسل وتجعلهم يعرضون عن كل ما يسئ لهم ويسيء لغيرهم.

٢-أخذ المجتمع المدرس بأسلوب العدالة بمعاقبة المسيء المتطاول عملاً بقوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

٣-إصلاح المسيء وإقناعه بسوء عمله وتوجيهه نحو سلوك جيد، فليس العقاب دائماً أداة ردع وانتقام بل أيضاً أداة إصلاح.

٤-حفظ هيبة المعلمين والإدارة، وضمان الطاقة لهم ليتمكنوا من أداء واجبهم التربوي والتعليمي.

٥-تربية عادات النظام والانضباط والأخلاق الحميدة عند التلاميذ (١- احمد، ١٩٩٨، ٢١١).

إن كثيراً من الآباء ينسبون السلوك المرغوب إلى الثواب في حين ينسبون السلوك غير المرغوب فيه إلى العقاب، فالثواب يجعل الفرد يختار ويكرر الاستجابة الصحيحة، بينما العقاب قد لا يؤدي إلى الاستجابة الصحيحة, ولا يؤدي إلى سلوكيات محمودة بل قد يؤدي إلى ترسيخ الخطأ (٧-الفيتو ري، ١١).

ثالثاً- نظريات العقاب:

أولاً- ظهرت حتى الآن خمس نظريات في العقاب هي:

١-نظرية الانتقام:

تقوم هذه النظرية على أساس أن أي إخلال بالنظام موجه إلى الشخص الذي اصدر القوانين وهو أهانه لسلطته وكرامته, ويكون العقاب في هذه الحالة بمثابة رد اعتبار لصاحب السلطة وهذا ما يظنه عدد من المعلمين فهم يظنون أن المشاكل الصفية مشاكل شخصية وحين يعاقبون تلميذا ينتقمون لأنفسهم منه.

ونظرية الانتقام من النظريات القديمة التي عرفها الإنسان, وقرر بعض علماء النفس والاجتماع أنها تعبير عن غريزة الانتقام, وذهب آخرون إلى أنها تعبير عن رغبة في الانتقام وأن هذه الرغبة مركبة من غرائز عدة.

٢-نظرية المجازاة (القصاص):

وهي أرفع مستوى من نظرية الانتقام في المعايير الاجتماعية, وقد ظهرت في الديانات المختلفة وتركت أثرها في التشريع المدني, وتدعو إلى أن يؤخذ المجرم بجريرته وأن ينال عقاباً بعيداً عن الانتقام والانفعالات النفسية الأخرى، كما يقول الله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤] وهذه النظرية إذا أمكن تطبيقها من ناحية الأحكام فلا يمكن تطبيقها من ناحية التربية لان منفذها ينظر للخطأ نفسه لا للدافع الذي أدى إلى ارتكاب هذا الخطأ, ومنهم يعاقب التلميذ لعدم امتثاله لأوامر المدرسة سواء كان ذلك راجعاً للنسيان أم للجهل أم للثورة النفسية.

٣-نظرية المنع (الردع):

وهي أول نظرية في العقاب تتخذ معنى اجتماعياً، إذ تعد العقاب وسيلة من وسائل منع الفرد من ارتكاب الجرم ثانية, ويتحقق المنع إما بالحبس أو بالغرامة أو بهما معاً, كما أنها وسيلة لمنع الآخرين, وردعهم وكبح نزواتهم، فالعقاب أذن مانع له ورادع لغيره.

وقد وجدت هذه النظرية لنفسها تعبيراً تاماً في قانون العقوبات من ذلك الشنق في الميادين العامة والجلد, أما في المدارس فقد عمد المدرسون إلى إيقاف الطالب داخل الصف أو إنزال عقوبة به على مرأى ومسمع من الطلبة.ويرى بعض العلماء **إن** هذه النظرية تستند إلى عنصر الخوف وتعده رادعاً عظيماً للنفس.فهل يصح أن يستخدم الخوف وسيلة من وسائل التربية والتأديب وينقسم المربون حيال هذه القضية إلى فئتين- فئة تريد إقصاءه عن التربية الحديثة, وفئة تقول أننا لا نستطيع الاستغناء عنه.ولاشك أن العقاب يمنع ارتكاب الجرائم منعاً جزئياً ويخفف من حدتها وبذلك تسلم الإنسانية من بعض شرور المجرمين وفي هذه النظرية ظلماً وإجحافاً للإنسان لأن ما يطبق على شخص بعينه قد لا يجدي نفعاً مع غيره.

٤- نظرية الإصلاح:

يرى أصحاب هذه النظرية أن المجرم مريض يحتاج إلى علاج وعلى المجتمع أن يصلحه لا أن يعاقبه فيزيد مشكلته تعقيداً.وبعد أن استخدمت هذه النظرية الجديدة في معالجة المجرمين تبدل موقف المجتمع منهم تبدلاً جوهرياً, وأصبحت السجون مراكز إصلاح

وتهذيب لا مراكز انتقام وقصاص.فجهزت بالكتب ووسائل التسلية, وأنشأت فيها المعامل لتدريب المجرمين على مهنة من المهن, أو حرفة من الحرف وافتتحت فيها ساحات الألعاب وقاعات الإرشاد والمحاضرات, وفتحت للأحداث مراكز إصلاحية يتعلمون فيها القراءة والكتابة أو الحرف ويتدربون على المواطنة الصحيحة.

ولقد تركت هذه النظرية أثراً واضحاً في التربية والتعليم, فالتربية تنظر إلى العقاب من حيث هو وسيلة من وسائل إصلاح الطالب ليكون عضواً نافعاً في المدرسة والمجتمع ولكن يجب أن يتذكر المعلم دائماً أن التلاميذ مختلفون في أمزجتهم وطباعهم وميولهم وأخلاقهم.ويتفاوتون في استجاباتهم للعقاب, فهذا تكيفه إشارة بسيطة وآخر نظرة وغيره تقريع أو إرشاد وغير ذلك وهذا يدعونا إلى معرفة أمزجة طلابنا وطبائعهم فنختار العقوبة المناسبة لهم.

٥- نظرية الوقاية (الحماية):

وهذه النظرية مقبولة لدى جميع المربين وعلماء الاجتماع جميعاً يقولون بأن السجون لم تنشأ إلا لوقاية أولئك الذين يعيشون خارجها, وليست عقوبة الحبس التي ينالها السارق عقوبة له وإنما حفظاً للمجتمع من شروره. وفي المدرسة يلجأ المعلمون إلى إبعاد التلاميذ عن الفصل أو عن المدرسة حتى يحموا باقي التلاميذ من شرورهم, السارق والقاتل أبن بيئته فيجب تحسين البيئة الاجتماعية ومكافحة الأمراض ورفع مستوى معيشة الأفراد, ويرون أنه من العبث أن تبنى السجون الكبيرة وتصرف المبالغ الطائلة على مكافحة الإجرام من دون أن يوضح منهاج إصلاحي شامل يستهدف تنظيم حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية، ويقولون أن مثلنا مثل هؤلاء الذين يصرفون جهودهم في إنقاذ الناس من وباء مرض من دون أن يقضوا عليه وهو في مصدره ومنبعه.

وقد ساعد علم النفس الحديث على تثبيت قواعد هذه النظرية حينما يبحث في طبيعة الإنسان الأصلية ودرس تأثير البيئة فيها (٣- راجح، ١٩٩٩، ٢١٢- ٢١٥).

رابعاً- قانون الأثر لثورندايك

إن قانون الأثر الذي صاغه ثورندايك جعل الدوافع تحتل مركز الصدارة في عملية التعلم, وقد أدى إلى الاهتمام بقضية الثواب والعقاب في المدارس والإصلاحيات والسجون، كما أدى إلى إجراء بحوث تجريبية كثيرة في هذا الموضوع, والواقع أن الناس في ضوء اتجاه قانون الأثر كانوا دائماً يرون أن للعقاب شروطاً يجب أن تراعى كي يكون مثمراً منها أن يتلو الذنب مباشرة وألا يكون من الخفة بحيث لا يجدي أو من الشدة بحيث يشعر بالظلم أو من النوع الذي يجرح الكبرياء، وأن الإسراف في العقاب يذهب بقيمته، كذلك الحال في التهديد من دون عقاب، ثم جاءت التجارب تؤيد هذه الشروط وتزيد عليها.

ومن ذلك:

١- أن الثواب أقوى وأبقى من العقاب في عملية التعلم, وأن المدح أقوى أثراً من الذم بوجه عام, ومن التجارب التي تذكر بهذا الصدد كلفت مجموعات ثلاث من الأطفال تعلم بعض المسائل الحسابية، وكانت الأولى تتعلم من دون نقد أو تشجيع, على حين كان المجرب يخبر أفراد المجموعة الثانية على الدوام بمدى تقدمهم وتحسنهم، أما المجموعة الثالثة فكان يقال لأفرادها أثناء التعلم أنهم أغبياء كسالي غير أكفاء, وقد أسفرت التجربة, أن المجموعة الأولى كان تقدمهم في التعلم من دون المجموعتين الأخريين، أما المجموعتان الأخريان اللتان أثيبت إحداهما وعوقبت الأخرى أثناء التعلم فقد ارتفع مستوى التعلم لديهما في أول الأمر, لكن سرعان ما انحط مستوى المجموعة التي عوقبت انحطاطاً ملحوظاً في حين ظل تقدم المجموعة التي أثيبت مستمراً موصولاً, وفي هذا ما يشير إلى أن أثر العقاب مؤقت لا يدوم.

٢- أن الجمع بين الثواب والعقاب أفضل في كثير من الأحوال من اصطناع كل منهما على حده, فيستخدم العقاب لكف السلوك المعوج حتى يستقيم فيثاب عليه الفرد، فيكون العقاب في هذه الحالة بمثابة ألم مؤقت في سبيل لذة أكثر دواماً يعزز هذا ما لوحظ أن كثيراً من نزلاء السجون لا يجدي في تهذيبهم ما يبذل من جهود مثيبه إن لم يقترن ذلك بالتهديد بالعقاب وكل أبٍ أو مربٍ يلمس ضرورة استخدام العقاب واللوم في تطبيع الأطفال.

٣-أن أثر الثواب إيجابي في حين أن اثر العقاب سلبي لأن العقاب يحذر الفرد من أن يسلك سلوكاً معيناً في موقف معين يجلب له الأذى والألم أو لأنه يخيف الفرد من شيء معين، وذلك من دون أن يرشده إلى ما يجب عمله.

٤-ومما وجده ثورندايك وغيره أن أثر الجزاء ثواباً كان أم عقاباً يبلغ أقصاه حين يعقب السلوك مباشرة ولكن أثره يضعف كلما طالت الفترة بينه وبين السلوك.

فلكي يكون الجزاء مثمراً يجب أن يكون عاجلاً مباشراً, أو على الأقل لا يكون متأخراً إلى حد كبير لاسيما مع الأطفال فخير الجزاء عاجله.

٥-إن العقاب المعتدل مدعاة في كثير من الأحيان إلى أخذ الحيطة والحذر وتجنب الأخطاء التي كان من الممكن أن تمر من دون أن يلحظها الفرد، أما العقاب الذي يجرح كبرياء الفرد أو الذي يتخذ شكل توبيخ علني فنوع ضار عقيم من العقاب تزيد أضراره على فوائده إذا أنه قد يولد في نفس المعاقب الكراهية أو الشعور بالنقص أو فقد الثقة بالنفس.

٦-اتضح من بحث تجريبي دقيق أن الأطفال المنبسطين يضاعفون جهودهم عقب اللوم، في حين أن المنطوين يضطرب إنتاجهم عقب اللوم, كما ظهر أيضاً أن بطيء التعلم يحفزه الثناء أكثر من النقد، في حين أن النقد واللوم أجدى مع الموهوبين منه مع بطئ التعلم (راجح، ١٩٩٠، ٢٨٢).

خامساً- أنواع العقوبات المدرسية:

استعمل المربون قديماً وحديثاً أنواع عدة من العقوبات المدرسية، وتتدرج العقوبات في أهميتها فقد يكون منها تبديل أماكن بعض الطلبة في داخل الفصل الدراسي, أو نقلهم إلى فصول أخرى أو إلى مدرسة غير مدرستهم, وقد يكون الضبط بالثناء أو التأديب، وقد يشتد ويتعدى هذه الحدود البسيطة فيكون بالتوبيخ أو الاستهزاء أو الزجر, وقد يزداد شدة فيكون بخصم درجات السلوك أو الإقصاء المؤقت أو الفصل لما تبقى من السنة أو الطرد

المؤدب والعقوبة أما أن ينزلها المعلم نفسه وأما مدير المدرسة وأما مجلس المعلمين وينفذها المدير وفيما يأتي أهم أنواع العقوبات التي استعملت ومازالت تستعمل في المدارس حتى الوقت الحاضر.

١- التأديب:

وهو أيسر أنواع العقوبات المدرسية وأخفها وهو أما أن يكون خاصاً، وأما أن يكون عاماً، أي أمام الصف أو في طابور المدرسة, وينبغي إلا يؤنب التلميذ على ذنب اقترفه إلا بعد أن يتأكد منه المعلم تماماً.

٢- التحذير:

قد لا يجدي التأنيب نفعاً في ضبط التلاميذ وإن جاء بنتيجة فلأمد قصير جداً يتوانى بعده التلميذ ويرتكب المخالفة نفسها, فما على المدرس إلا أن يحذره ويفهمه أن تماديه سيضطره إلى إنزال عقوبة أخرى أشد، وينبغي أن ينال الطالب عقابه أن لم يصلح حاله, وقد يكون التحذير شفهياً أو تحريرياً.

٣- الحرمان من الامتيازات:

هناك نوعان من الامتيازات المدرسية نوع عام لكل التلاميذ ونوع خاص اكتسبه التلميذ نتيجة تفوقه في الدراسة أو الرياضة أو قيادة زملائه, ومن الامتيازات الخاصة ما كانت تفعله بعض المدارس من إعفاء التلميذ المتفوق في الامتحانات الفعلية والحاصل فيها على ٨٥٪ فأكثر في كل درس من دخول الامتحانات النهائية, وتخصيص جوائز سنوية للأول في صفه ,وقد برهنت التجارب على نجاح طريقة حرمان التلاميذ من امتيازاتهم الخاصة بوصفها وسيلة ناجحة لإصلاح سلوكهم في حالة ارتكاب أعمال خاطئة.

٤- الإخراج من الصف:

مظهر من مظاهر توقيع العقوبة على التلميذ المخطئ حينما لا ينفع معه نصح ولا تأنيب ولا تحذير, وبعض المعلمين يلجئون إلى هذه الوسيلة, وتفقد هذه قيمتها إذا أكثر المعلم من استعمالها وقد يلجأ إليها بعض المعلمين للتخلص من التلميذ المشاغب كثير الكلام الذي يكون استمرار وجوده خطراً على نظام الفصل وعلى الدرس، ولكن إلا يلجا المعلم إلى هذه الوسيلة إلا عند الضرورة القصوى.

٥- عزل الطالب المذنب:

تتصل هذه العقوبة بسابقتها وهي عقوبة الإخراج من الصف، وفي هذه الحالة أما ان يمنع المعلم الطالب من الحضور، وأما أن يمنع اتصاله مع أقرانه, ويبقي بمعزل عنهم داخل الفصل, وأشد ما في هذه العقوبة الإقصاء والطرد اللذان لا يستخدمان إلا في حالات نادرة أي حينما يصبح سلوك التلميذ سيئاً جداً.

٦- الثناء واللوم:

وهو مبدأ معروف في علم النفس باسم مبدأ الثواب والعقاب أو اللذة والألم, يقول (راسل) الفيلسوف الإنجليزي (إن الثناء واللوم شكلان مهمان من أشكال الجزاء) وليس من الممكن القيام بالتربية بغير الثناء واللوم ولكن لابد من الحذر في كليهما.

٧- التوبيخ:

عقوبة مؤثرة جداً إذا ما استعملت استعمالاً جيداً, فهي عقوبة نفسية تتصل بشعور التلميذ الاجتماعي, ولكي يترك التوبيخ أثره يجب أن يكون الموبخ شخصاً محترماً لدى التلميذ، شخصاً يستجير به ويطلب شفاعته، والتلميذ الذي لا يحترم مدرسه احتراماً حقيقياً لا تؤثر فيه عقوبة التوبيخ بل قد تخلق منه بطلاً بين رفاقه الآخرين.

٨- التهكم والاستهزاء:

تتصل هذه العقوبة بالتوبيخ إلا أنها أشد وقعاً منها وأعمق أثراً في النفس وتستخدم في حالات خاصة جداً لأنه سلاح خطير والتلاميذ لا يستسيغونه مطلقاً وقد يضطر المعلم إلى استخدامه مع التلميذ السفيه أو الصلف المغرور فمثل هذا الطالب قد يرى نفسه أعظم شأناً من المعلم.

٩- حجر الطالب:

يضطر المعلم أو المدير أحياناً إلى تطبيق هذه العقوبة على بعض التلاميذ فيطلب من المذنب أن يراجعه بعد انتهاء الحصص ويعاقبه بالحجر في المدرسة لمدة معينة ولهذه العقوبة حسنات ومحاذير.

١٠- العقوبات المعنوية:

تقوم على أساس إثارة عواطف المسيء نحو نفسه مثل عاطفة اعتبار الذات، أو نحو مجتمعه مثل الشعور بالخيبة أمام الآخرين إذا ظهر أمامهم بمظهر المسيء أو المخطئ ولا تجدي هذه العقوبات إلا إذا ربيت عند التلاميذ هذه العواطف والاعتبارات، وقد تفنن المربين في استعمال هذه العقوبات فجعلوا عندهم سجلاً للحسنات والسيئات، وجعلوا في لوحة الإعلانات أسماء المسيئين.

١١-العقاب البدني:

ومنه الضرب واستعمال العصي للجلد والحبال للأغلال وما يسمى (بالفلقة) ولكن التربية الحديثة تستبعد العقوبات الجسدية بشتى أشكالها ترفعاً بالإنسان عن الحيوان, وقد وجد المربون أن سلوك التلاميذ الذين لا ينالون عقاباً بدنياً في المدارس الحديثة أحسن من سلوك التلاميذ في المدارس القديمة التي تعد العقاب البدني شيئاً اعتيادياً (١- احمد، ١٩٩٨، ٢١٥- ٢٢٠).

سادساً- بعض المبادئ الهامة عند استخدام العقاب:

١-**لا يكون للعقاب قيمة:** إلا أذا أدى مباشرة إلى تغيير الاستجابة، فالميزة الكبرى للعقاب أنه يجبر التلميذ على التوقف والانسحاب عما يفعله إلى محاولة شيء جديد ومجرد العقاب الذي لا يؤدي إلى هذا التحول محدود القيمة أو معدوم, ومعنى هذا أذا صدرت عن التلميذ استجابة خاطئة أو غير مرغوبة فيعاقب عليها، لابد من تشجيعه على إصدار الاستجابة الصحيحة أو المرغوبة ثم إثابته عليها بعد ذلك.

٢-**التمييز بين العقاب:** باعتباره عدم مكافأة أو تهديداً نتيجة للفشل في التعليم من ناحية وبين معناه كعقوبة على الخروج عن القواعد الأخلاقية والواقع أن لا أحد يمكن أن يدافع عن استخدام العقوبات البدنية أو المعنوية عندما يخطئ التلميذ في التعلم، وإنما تستخدم في مقامها عندما يظهر التلميذ سلوك اللامبالاة أو الكسل المقصود أو الإهمال أو طرق السلوك الديني والأخلاقي, إما حينما ينتقد الوالد أو المعلم أداء التلميذ أو يسجل فشله في التعلم وهو مكون رئيسي من مكونات التقويم التربوي.

٣-**قد يكون العقاب إخبارياً:** فالطفل الذي يلعب بالنار فتؤذيه قد يتعلم كيف يتعامل مع النار، وتصحيح الأخطاء التي يسجلها المعلم في كراسة التلميذ نوع من العقاب ولكنه يخبر التلميذ بإجاباته الخاطئة ويهيئ الفرصة للتعليم إذا فهم التلميذ أخطاءه وصححها, والعقاب ألأخباري قد يعيد توجيه السلوك بحيث يمكن إثابة السلوك الجديد وهو أفضل صور العقاب لأنه يحدد للتلميذ ما هو مسموح به أو مقبول أو صحيح وما هو غير مسموح به.

٤-**قد يكون الطفل في حاجة العقاب:** حينما يحاول اختيار الحدود ليتحقق من المدى المسموح به من السلوك غير المسموح به, وإذا حدث ذلك فمن المستحسن اللجوء إلى النظام الحازم وليس القاسي تنفيذه في الحال ومن دون تناقض أو انفعال.

٥-**يجب الحذر من المبالغة في استخدام العقاب:** استخدامه كإستراتيجية مستمرة في تربية التلميذ، وقد يؤدى ذلك إلى زيادة مستوى القلق عند الطفل بحيث تكون أخطاره أشد ضرراً من الفشل في التعليم.

الحل ليس لتحريم استخدام العقاب في التربية، وإنما باستخدامه في حدود المعقول في اعتدال وتوازن (٤- صادق، ٢٠٠٠، ٤٥٩).

سابعاً- مزايا العقاب:

هناك خلاف في الرأي بين علماء التربية في موضوع العقاب، وتتعدد من حوله الآراء وتختلف وجهات النظر بين مؤيد ومعارض, ونجد المؤيدون يعددون بعض المزايا للعقاب مثل:

١-يمنع العقاب تكرار سلوك التلميذ السيئ؛ لأن له كفاءة وفاعلية عالية في حذف السلوك غير السوي.

٢-العقاب له أهمية في تعليم التلاميذ فهو يساعدهم على التمييز بسرعة بين الأنماط السلوكية المقبولة والأنماط غير المقبولة.

٣-يعلم العقاب التلاميذ الآخرين لأنه يقلل احتمال تقليد أعضاء الفصل الآخرين للأنماط السلوكية المعاقبة.

٤-إن العقاب بالتنبيه خير وسيلة لخلق العباقرة, وحث التلاميذ على النبوغ, حيث يقول مونت جمري (لولا العصا لما أصبحت مونت جمري).

٥-لفائدة الضرب المؤكدة أقره الإسلام حيث قال الرسول ﷺ عن عائشة رضي الله عنها في تأديب الأولاد تاركي الصلاة عند سن العاشرة «**أمروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**». (٣- راجح، ١٩٩٩، ٢٠٨).

ثامناً- الآثار الجانبية الضارة للعقاب:

١-غالباً ما يكون هناك تأثير للعقوبات الجسيمة على المتعلم قد تصل في بعض الأحيان إلى عامة مستديمة.

٢-لأن العقاب المحتمل منفر, وعادة ما يحاول التلاميذ الهروب منه أو تجنبه وخلال تلك العملية يتعلمون دائماً استجابات اجتماعية غير ملائمة مثل (الكذب، الغش، التمارض،... الخ).

٣-قد يستدعي العقاب الشديد هجوماً عدوانياً مضاداً.

٤-يتأكد أن هؤلاء الذين يستخدم معهم العقاب الجسمي يتميزون بالسلوك العدواني, وعندئذ يتعلم التلاميذ من خلال الملاحظة أن الإيذاء والضرر طريقة مقبولة لمعالجة المشكلات مع الأفراد الآخرين، وقد يكون هذا جزءاً من السبب الذي غالباً ما يدفع الراشدين الذين كانوا يضربون بصورة مستمرة في طفولتهم إلى ضرب أطفالهم.

٥-عندما يستخدم العقاب بصورة متكررة، فسوف تتولد لدى التلميذ مشاعر الكراهية والخوف تجاه الشخص الذي يحدث العقاب (المعلم أو الوالدين) وبالمكان الذي يتم فيه العقاب (المدرسة أو البيت).

٦-نتائج العقاب تستعصي على التنبؤ، فإذا كان الثواب يقول للمتعلم كرر ما فعلت، فإن العقاب يقول له توقف عما تفعل، ويفشل في أن يحدد للمتعلم ما يفعله.

٧-أن أثر العقاب يقتصر على السلوك مؤقتاً، حيث يعود السلوك غير المرغوب للظهور مرة أخرى بعد زوال التهديد الذي يمثله العقاب.

٨-قد يعمم أثر العقاب فيحدث كبت أو خمد للسلوك المرغوب فيه أيضاً يحدث هذا لما يصيب الفرد من توتر أو خوف يجعله يتردد في المبادرة بأي فعل خوفاً من أن يؤدى هذا الفعل إلى عقابه (٩- الكناني، ١٩٩٢، ٢٣٨).

التوصيات

في ضوء ما تم جمعه من معلومات موسعة في موضوع الثواب والعقاب وأهميته في عملية التعليم وفي ضوء الإطلاع على مجموعة من الدراسات التجريبية والتي تم تضمينها في محتوى البحث الحالي قد أوصت الباحثة بما يأتي:

١-ضرورة إطلاع المعلمين كافة على الآثار الجانبية السيئة للعقاب، واتباع أفضل السبل لاستخدام أساليب الثواب والعقاب في زمانها ومكانها المثالي.

٢-ضرورة إقامة الدورات التدريبية للمعلمين كافة من خريجي المعاهد والكليات غير التربوية وإطلاعهم على كافة الوسائل والطرق التي تتعلق بالعملية التعليمية ولاسيما فيما يتعلق باستخدام أساليب الثواب والعقاب في التعلم.

٣-الابتعاد قدر الإمكان عن استعمال العقاب البدني في عملية التعليم لما له من آثار سلبية على التلميذ.

٤-عدم الإفراط باستخدام أي عقوبة من العقوبات التي ذكرت في هذا البحث لأن الإفراط تكون له مردودات عكسية سلبية قد تضر بالتلميذ المسيء أكثر من أفادته.

٥-من المفيد أن يكون الثواب في محله, وأن عدم تكرار المعلم عبارات الثناء والشكر والمديح للتلاميذ بمناسبة أو غير مناسبة لأن التكرار سوف يفقد الثواب مضمونه التربوي ويجعل التلميذ لا يعير له أي أهمية.

٦-يفترض نيل التلميذ المسيء العقوبة ولا يؤخذ أي أحد من زملائه بجريرته, وأيضاً يفترض أن ينال الطالب المجد الثواب, أما التعميم بالعقاب والثواب من الأمور غير المرغوب فيها في العملية التعليمية.

٧-بما أن عقوبة طرد التلميذ من الفصل أو المدرسة تعد من أقسى العقوبات لما لها من آثار على علمية التلميذ وفقدانه لفرصة التعليم وبالقدر الذي يحصل عليه زملاؤه لذا نوصي أن بتأني المعلمين قبل اتخاذ هذا النوع من العقوبات وبعد استنفاذ السبل كافة.

٨-تشديد المراقبة على المعلمين الذين يستخدمون العقاب بشكل مفرط لغرض تغطية النقص في علميتهم أو شخصيتهم من قبل الموجهين ووضع حد لسلوكهم المنافي للتربية.

٩-تقديم المكافآت المادية والمعنوية للمعلمين الذين يحصلون تلاميذهم على نسب عالية في النجاح والذين يستخدمون أساليب الثواب والتعزيز كافة المرغوبة مع تلاميذهم.

١٠-وأخيراً أوصي باستخدام أسلوب الثواب بكثرة وباستمرار, وأن المحاولة جاهدين للتقليل من استخدام العقاب لأنه أقوى و أبقى أثراً من العقاب في عملية التعليم.

المقترحات

يقترح إجراء البحوث الآتية:

١-إجراء دراسات مسحية تبحث عن دور أساليب الثواب والعقاب في عملية التعليم وفي المراحل الدراسية كافة ومن وجهة نظر المعلمين والموجهين.

٢-إجراء دراسات مسحية تبحث عن أهمية أساليب الثواب والعقاب في العملية التعليمية والمراحل الدراسية كافة ومن وجهة نظر الطلبة.

٣-إجراء دراسات تجريبية تبحث عن أثر استخدام أساليب الثواب والعقاب في التحصيل الدراسي في تنمية التفكير العلمي وفي تنمية التفكير الناقد المراحل الدراسية كافة والمواد التعليمية كافة.

٤-إجراء دراسة تاريخية (نظرية) تبحث آراء الفلاسفة والمربين في الثواب والعقاب والنظريات والقوانين التي وضعت في هذا المجال.

المصادر

١-أحمد، محمد عبد القادر. **طرق التدريس العامة**. القاهرة, مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٩٨.

٢-دافيد وف، لندال. **مدخل علم النفس**. ترجمة: سيد الطواب وآخرون, القاهرة, منشورات مكتبة التحرير, ط٣.

٣-راجح، أحمد عزت. **أصول علم النفس**. القاهرة, دار المعارف المصرية، ط٣, ١٩٩٩.

٤-صادق، آمال، وفؤاد أبو حطب. **علم النفس التربوي**. القاهرة, مكتبة الانجلو، ط٣, ٢٠٠٠.

٥-عبد القادر، طه فرج، وآخرون. **معجم علم النفس والتحليل النفسي**. بيروت, مكتبة النهضة العربية.

٦-الفرماوي، حمدي. **ركائز البناء النفسي**. القاهرة, ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

٧-الفيتورى، فتحي، وعبد الحكيم اجويلى. **أساليب الثواب والعقاب في المرحلة الثانوية**. المعهد العالي لإعداد المعلمين، طرابلس, المعمول, ٢٠٠١ (بحث تخرج غير منشور).

٨-قنديل، شاكر، وآخرون. **معجم التحليل النفسي**. القاهرة, دار المعارف المصرية.

٩-الكناني، ممدوح عبد المنعم، وأحمد مبارك الكندي. **سيكولوجية التعلم وأنماطها وتطبيقاتها النفسية والتربوية**. الكويت, مكتبة الفلاح, ط١، ١٩٩٢.

١٠-محمود، إبراهيم وجيه. **التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته**. القاهرة, دار المعرفة الجامعية.